



تأملات أسبوعية في أناجيل زمن المجيء

أحد بشارة زكريا

يتكلم هذا الإنجيل على قصتين: قصة الله مع الإنسان وقصة زكريا.

قصة الله الذي خلق الإنسان وأعطاه الحياة؛ والذي من بعد خطيئة الإنسان، أعطاه وعدًا بالخلص؛ والذي أعطى إبراهيم الوعد بأن يصير شعباً عظيماً؛ والذي حرّر شعبه من عبودية مصر وأعطاه الحرية؛ والذي في سبي بابل ذهب معه ورافقه في المحنة (فالله ليس مع شعبه في أيام البحبوحة فقط، بل أيضاً في الأيام الصعبة). ثم حان الوقت ليرسل ابنه الوحيد، وعلى يوحنا المعمدان أن يحضّر له الطريق، فانتظر الله كي يصبح زكريا عجوزاً. هذه هي بعض المحطات في قصة الله، الذي يتدخل دائماً ليعطي الإنسان الحياة عندما يبدو كل شيء ميئاً.

في المقابل هناك قصة زكريا: كاهن يحبّ الله، كاهن بار، يعيش بحسب شريعة اللهي يعمل بوصاياه. تزوّج من امرأة تقيّة، وكان عندهما ألم وانتظار: قد مرّت الأيام ولم يرزقا بولد. صلّيا حتى يأتيهما طفل... ولم يأت. صلّيا أكثر، وانتظرا سنين... ولم يحصل شيء. فاعتادا على هذا الوضع، ولم يعودا ينتظران شيئاً. بقيّا يصلّيان، ولكن لم يبقيا من بعد منفخين على أي جديد.

هاتان القصتان، قصة الله وقصة زكريا، التقتا اليوم. وعندما التقتا، لم يصدّق زكريا استجابة الله صلاته. فبالنسبة إليه، هذه القصة أصبحت من الماضي. قد تشبه قصة زكريا قصة كلّ واحدٍ منا. كم من المرّات نتلو الصلوات نحن أيضاً، ولكننا في قرارة أنفسنا لا نؤمن، أو بالأحرى لانرجو فعلاً: "لنكن مشينتك" ولكن هل نحن نقبل حقيقةً بمشيئة الله؟ "اغفر لنا كما نحن نغفر"، ولكن هل نحن مستعدون حقاً لنغفر لمن أساء إلينا؟

ما هي مشكلة زكريا؟ لماذا وصل الى هذه الحالة؟ كان زكريا باراً، أي بالعامية "أدمي"، ولكنه لم يعد مؤمناً! "لأنك لم تؤمن بكلامي الذي سيتم في أوانه" قال له جبرائيل. صحيح أنه يصلّي ولكنه لم يعد بعلاقة حيّة مع الله. فما الفرق بين "الأدمي" والمؤمن؟

"الأدمي" لا يسيء إلى أحد، يرتب أموره، ويتم واجباته الدينية ويذهب الى القداس كلّ أحد ويعمل بوصايا الله. حياته مرتبة وفق قواعد الأخلاق، ولكن كم هي بعيدة عن المغامرة. أما المؤمن فلا يسيء الى أحد، ولكنه يصلّي أيضاً لمن يسيء إليه. "الأدمية" قد تقود الإنسان إلى الاعتقاد بأنه هو مصدر أعماله. والأخطر أنها قد تقوده الى العقم. فلا ينتظر أي شيء جديد، لقد انطوى على ذاته مثل زكريا، وأصبح قلبه قاسياً، غير قادر على أن يشعر بالكره... ولا أن يحب.

أما الإيمان الحقيقي فيؤدي إلى الخصوبة، لأن في الإيمان يوجد كرم أكثر، لا بل فيض. فتكتشف، إذا كنت مؤمناً، أشياء لم تكن تراها يوماً أو لم تتوقعها حتى. المؤمن مغامر في طبيعه، يستعد دائماً للجديد في حياته، لا يعرف شعور الخوف. الإيمان خصب لأنه، في الإيمان، ليست الأشياء نتيجة ما عمله فقط، بل تأتيك الخصوبة من الله. فيصبح في الألم ثمراً، وفي الحب ثمراً، وفي كل موقف وكل اختبار ثمراً. مار شربل كان يعيش في صومعة، ولكن حياته كانت خصبة. لماذا؟ لأنه كان منفتحاً على عمل الله.

من الضروري أن يكون المؤمن "أدمياً"، ولكن على "الأدمي" أن يكون مؤمناً إذا كان لا يريد أن يصبح ميئاً.

هل نجح اللقاء بين الله وزكريا؟ بنظر هذا الأخير كلا، ولكن الله، رغم عجز ايمان زكريا، قرّر هذه المرّة أيضاً أن يكمل المسيرة. سيعيش زكريا زمن صمت كي يستعيد إيمانه، ويفتح من جديد قلبه وحياته لله. وأنت، وأنت، هل تؤمنان بأنه يمكن الله أن يعمل شيئاً جديداً في حياتكما، حتى عندما تبدو لكما الحياة معتمة وكل شيء مغلقاً في وجهكما؟ إنكما تقولان إن يسوع المسيح قام من بين الأموات، ولكن هل هو شخص حيّ في حياتكما؟ فغرا في قلبكما، وحاولا، بصمت، أن تفتحا، من جديد، قلبكما ليكونا مذوداً ليسوع، وهو سينير من جديد حياتكما. آمين.

صلاة

شكراً لك يا رب، لأنك تُنجز ما وعدت به، رُغمَ عدم أمانتنا لعودنا لك،
شكراً لك لأنك قدستنا وجددتنا، وبذلك تُهيئنا لإستقبال إبنك في حياتنا وقلوبنا، ضمنَ العائلة والأصدقاء،
شكراً لك، لأنك مع بشارتك لذكرياً، بشرتنا بالأمل والرجاء،
ولما مَحوت عارَ إصابات، فَحَمَلت بابينَ في شِيخوختها، مَحوتَ عنَّا اليأسَ ومَنَحتنا الإيمانَ،
شكراً لك على جسدك ودمك، زاداً لنا في الحياة،
شكراً وحمداً لك، أيها الأب والابن والروح القدس، الإله الواحد، من الآن وإلى الأبد، أمين.